كيف نحفظ القدس ونصونها من الضياع

كيف نحفظ القدس ونصونها من الضياع

2007-08-27

مداخلة ألقيت في ندوة أقيمت في مصلى السيدة زينب عليها السلام في الشام 20 رجب 1421

الشيخ حسين كوراني

بسم الله الرحمن الرحيم

أستلهم الأعتاب الزينبية للإستشهاد بقول الله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير

لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما، ولهم عذاب مهين). صدق ا العلي العظيم

يوم كنا أمة ـ ولوبحكم الإستمرار ـ وكان حاكمنا منّا سلبت ذمية خلخالها، فانطلق الموقف مدويا: لو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي به جديراً.

ويوم أصبحنا طعمة للخناجر المسمومة: إغراءات الحلفاء، سايكس بيكو، العرقية، الكيانية، الإنبهار بالكفر، الإسلام الأمريكي، افقدنا هويتنا، وراقنا أسفل الحضيض من مهاوي الردى.. ـ إلا القليل، القليل ـ وما نزال.. ولا أدعي…

يومها ضاعت القدس .. حيث ضاع بيننا التوحيد.. وهو وحده الطريق إلى الوحدة، والقوة، والعزة.

ليست المسألة إذا : كيف نحفظ القدس ونصونها من الضياع، بل المسألة: كيف نحرر القدس؟ ومخطيء من يظن أن من استمر بالعبودية والرق يمكنه أن يفكر بالتحرر، فضلا عن أن يعلنها حمراء لاهبة تشق عنان السماء..

مخطيء من يظن أن القدس مجرد بقعة جغرافية..

القدس همزة وصل بين السماء والأرض، بين عالم الغيب وعالم الشهادة، بين الإسلام النظري والإسلام في ساحة الجهاد، بين شرائح الأمة التي تمتلك الضمير الحي، وينبض في شرايينها الإحساس بالمسؤولية، بين المسلمين الشيعة والسنة، بين المسلمين والنصارى الذين يدركون ما يمثله الخطر اليهودي، أو الصهيوني.

إلا أن هنا مفصلين بالغي الحساسية…

الأول: أن لايحملنا الإنفتاح إلى حضن السلطان، ولاحتى إلى بلاطه.. لا أستثني منهم أحدا.. وعندما أحيي موقف الرئيس الأسد ـ سواء الأب أو الإبن ـ فليس ذلك باعتباره من الحكام العرب، بل باعتباره الحاكم

العربي الأوحد أما الباقون فليسوا عربا، إنهم يهود (مهما بدلوا ألوانهم) إنهم حكام العرب وليسوا الحكام العرب. شتان بين من يتحدى الغطرسة الأمريكية والصهيونية، ويصرح علنا بأنه مع استمرار عمليات المقاومة الإسلامية لتحرير مزارع شبعا، وبين من يردد مقولة كوفي أنان عن خرق القرار 425.

إذا سلكوا طريق الرئيس الأسد، كما فعل الرئيس اللبناني، عندها يمنحون شهادة الوطنية.. و نظل نطالبهم بالمزيد..

أما أن نصفق لهم بذريعة وحدة الصف.. وضرورات المواجهة، أو نبرر بعض سقطاتهم ولو بحجة ضرورات الأنظمة، فليس ذلك من الإنفتاح بشيء، وغالبا ما يكون مبعثه الجبن ، وشلل الإرادة، والعجز عن الموقف الصعب، والخوف من بطشهم.

وما لم نتحرر من حكام العرب اليهود، فلا سبيل إلى تحرير القدس..

وستبقى حلقات الإنتفاضة، في دائرة الإستنهاض.. فلعل وعسى..

الثاني : أن لا يحملنا الإنفتاح على النفاق، فالأول من صميم الدين، أما الثاني فهو يخرج صاحبه منه.. لكل منا فناعاته، ونلتقي على القواسم المشتركة، نعمل معا، ونتعلم من بعضنا معا، ونتحاور حيث يمكن، ونؤجل الحوار حين ينبغي، إلا أن كلا منا يعرف الآخر على حقيقته، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية..

أما أن تختفي الفوارق بيننا كلمح البصر، فإذا بالمسلم كأنه مسيحي، أو العكس، وباليميني كأنه يساري، أو العكس ..وهكذا، فهو لون من النفاق ينبغي أن نحذره.. إنه لون يهودي..

على هذا الأساس.. الإنفتاح الحقيقي.. الإنفتاح الشفاف، والمبدئي، أقول:

من لم يعمر قلبه حب الحق تعالى، فضل عنه ضلالا قريبا أوبعيدا، فقد أضاع الحقيقة المطلقة، التي لا تبلغ أية حقيقة مهما كان خطرها، إلا ظلا من ظلالها، فماذا يعني بالنسبة إليه ضياع القدس وفلسطين والأمة..

سيكون حاله في أبهى صوره – ولا بهاء – حال ياسر عرفات، يبحث عن الأنا ويظنها الشعب والوطن والقدس.. أليس هو الممثل الشرعي والوحيد؟ وجد تحقيق أناه في المقاومة فاختارها، وعندما وجد أن تحقيق ذلك في المساومة لم يتردد في إحراز قصب السبق… اتخذ المقاومة سلما.. صلى وصام لأمر كان يطلبه.

فلما انقضى الأمر لا صلى ولا صاما من هذه النقطة بالذات أدخل إلى الحديث عن الحلقة الراهنة من حلقات الإنتفاضة المشرفة، لقد وقعنا في الفخ يوم توهمنا أن بعض حكام العرب أصبحوا وطنيين، وأن ياسر عرفات وصل إلى الطريق المسدود، وأنه يمكن أن يعود إلى رشده، ولقد بنى كلينتون على هذه النقطة بالذات، وعلى بعض ما يرتبط بها، وقرر العمل على تلميع صورة باراك أمام المتطرفين اليهود، وتلميع صورة عرفات أمام المتطرفين العرب، تمهيدا لتمكيتهما من عقد صفقة العمر التي يحلم بها كلينتون قبل انتهاء ولايته.

وكان لابد لتنفيذ ذلك من انتظار اللحظة المناسبة حيث ينطلق أهلنا في فلسطين بعفوية ومصداقية للتعبيرعن كامن غضبهم المتفجر، فيركب كل من باراك وعرفات الموجة، ليصبح كل منهما بطلا قوميا، ليتم توظيف ذلك في الصفقة المنتظرة على أحر من الجمر.. وهذا ما يؤكده سير الوقائع وآخرها إعلان استئناف مفاوضات التسوية بعد أسبوعين.. ولا أريد أن أطيل بذكر التفاصيل.

مالم يدخل في حساب المخطط الأمريكي الصهيوني، أمران .. عميق أثر الفعل الإستراتيجي للمقاومة الإسلامية، في لبنان، على الشعوب العربية والإسلامية، على امتداد العالم، وتكاثر الفضائيات العربية، والإسلامية..

أما الأول.. فهي المرة الأولى التي تنزل فيها الجماهير المسلمة إلى الساحة، موقنة بإمكانية إحراز النصر، ولو بعد حين، كان الطواغيت قد نجحوا في سرقة الأمل بالنصر من قلوبنا، إلا ان المقاومة الإسلامية نجحت في إعادة اليقين بالنصر، إلى قلوبنا وعقولنا، إنها المرة الأولى التي نقرأ فيها بعقلانية ويقين: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، بإذن ا … سنكتشف لاحقا أن علينا أن نؤرخ لهذا الإنتصار، فهو الفصل بين مرحلتين..

ولعلنا اكتشفنا الآن ما بدأ الإستكبار العالمي يتجرع غصصه.. أن الخميني ما يزال ملء السمع والبصر وأن المنازلة بينه وبين الشيطان الأكبر.. تتوالى فصولا..

لقد وصلت الرسالة الخمينية عبر المقاومة الإسلامية إلى الشعوب … متخطية كل الحواجز والسدود..

وليست المقاومة الإسلامية إلا حزمة سنا من فيض زيتونة لا شرقية ولا غربية من الدوحة المحمدية.. الخمينية..

من هنا أمكنها أن تبقى عصية على كل محاولات الترويض والتدجين، فالشجرة البرية أصلب عودا وأورى وقودا..

وباستطاعة كل شعب مسلم أن يقدم نموذجا مشابها..

وسيكتشف الإستكبار أيضا أن نبض الخامنئي، خميني .. وأن الهدي والنهج واحد، والمستقبل راعف واعد.. ولتعلمن نبأه بعد حين…

أما في المجال الثاني: الفضائيات.. فمن السابق لأوانه تقويم عظيم أثرها في شد أو اصر الأمة، وتعزيزها، ونسبة تحريرها من هيمنة الطواغيت، عبر اختراق السدود التي أقامتها أنظمة القمع المتصهينة..

لقد استطاعت الفضائيات ـ رغم قصر المدة وتواضع الإنطلاقة ـ أن تقدم إكسير استنهاض سحريا.. مزج بين فعل المقاومة الإسلامية.. وفعل الإنتفاضة.. والمشاعر الصادقة لأفراد الأمة.. والمحفز النوعي المتمثل بمظلومية الشهيد محمد الدرة وأترابه وكل ماكشف أكثر عن كامن الحقد الصهيوني الدفين..

وسيكتشف الأعداء لاحقا أننا نجيد استعمال أمضى أسلحة العولمة، وهو الإعلام.. لمصلحة المستضعفين..

أشير في الختام إلى نقاط عملية ثلاث..

1ـ لا مجال للحديث عن تحرير فلسطين، بمعزل عن الحساسية تجاه قضايانا الداخلية، في العالم الإسلامي، وفي طليعتها استرداد العراق، إلى دائرة فعل الأمة.

وفي هذا السياق، ينبغي التنبه جيدا إلى خطوتين ملفتتين، غض الطرف الأمريكي عن محاولات كسر الحصار المفروض على العراق، وتصاعد نغمة أمريكية ـ صهيونية مشتركة،عن خطر قصف صدام للكيان الصهيوني.

هل ثمة دور يراد لصدام أن يقوم به؟

2ـ ستشهد المرحلة المقبلة هجمة هي الأشرس على الحركات الإسلامية، خاصة في فلسطين، لا لأنا أمام قمة شرم الشيخ الثانية وحسب.. بل لأن الأعداء أصبحوا يدركون أكثر من أي وقت حقيقة ما تمثله هذه الحركات، وما اتهام حركة حماس بإحراق بار في حمى المواجهة، إلا مؤشر على المنحى الذي ستسلكه هذه الهجمة.

3ـ لا مجال للحديث عن مواجهة حقيقية للعدو الصهيوني، وعن مصداقية في حمل هم الإنتفاضة، مادمنا لانشهد مبدأ مقاطعة البضائع الأمريكية، يتحول إلى أساس لمقاومة إسلامية عالمية، تنتظم على أساسه الصفوف، وتتوحد حوله الإرادات..

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته